المحاضرة السادسة: النقد الثقافي

1)- النقد الثقافي:

1-1/ مفهوم النقد الثقافي:

شهدت الساحة النقدية تطوراً كبيراً خاصة في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحالي وبتطور التكنولوجيا بدأ الاهتمام بشرائحٍ من المجتمع كانت مهمّشة لعدة قرون، فكان لهذه الشرائح تفكيرها الخاص ولغتها التي تختلف عن لغة النخبة، وهذا فتح المجال أمام الأجناس المهمّشة من الدراسة بالظهور ضمن الدراسات الثقافية أو ما يعرف ب " النقد الثقافي".

لقد تطرق الكثير من الدارسين والنقاد لهذا النوع من الدراسات المعاصرة من أمثال الأمريكي " فنسنت ليتش"، والناقد السعودي " عبد الله الغذامي" ، وكذلك الباحث " حمداوي جميل"، ويقدم هذا الأخير دراسة حول النقد الثقافي، مستقاة من أعمال كل من الناقد الأمريكي " فنسنت ليتش" وكذا الناقد السعودي " عبد الله الغذامي"، و يرى أنّ « النقد الثقافي هو ذلك النقد الذي يحلل النصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، بعيدا عن المعايير الجمالية والفنية و البويطيقية، (...) وبالتالي، يعنى النقد الثقافي بالمؤلف، والسياق، و المقصدية، والقارئ، والناقد. ومن ثم، فالنقد الثقافي نقد إيديولوجي وفكري وعقائدي.(...)، يهدف النقد الثقافي إلى كشف العيوب النسقية التي توجد في الثقافة والسلوك بعيدا عن الخصائص الجمالية والفنية. ويعني هذا أن النقد الثقافي هو:" فعل الكشف عن الأنساق،وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة» [1]

ونفهم من هذا التعريف أنّ " حمداوي جميل" لم يقصِ الأعمال الأدبية، ولا النظرية الأدبية من دائرة اهتمام النقد الثقافي كما فعل غيره من أمثال " عبد القادر الرباعي"، والذي يرى أنّ النقد الثقافي « يعني التوسع في مجالات الاهتمام والتحليل للأنساق؛ إذ لم يعد الأدب بالمفهوم التقليدي هو السائد غالباً في مجال الدراسة التحليلية والنقدية وإنما غدا في بعض الدراسات المعاصرة جزءاً من كلٍ أكبر وأوسع وأشمل، حتى سمي هذا الكل: الدراسات الثقافية.»[2] . وهو يستند بهذا إلى أراء " تيري إيغلتون" في كتابه « نظرية الأدب»، بحيث ينظر هذا الأخير إلى النظرية الأدبية بوصفها « أسطورة أكاديمية، ويقول أنّه يتوصل إلى إنكار النظرية الأدبية الخالصة من خلال إيمانه القاطع بموت الأدب، كما يضيف أيضاً : بدأت هذا الكتاب " نظرية الأدب" بمحاولة

---

[1])- جميل حمداوي ، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، مقال نقدي، الموقع الالكتروني: http://www.diwanalarab.com/، (2012/07/08).

[2])- عبد القادر الرباعي، تحوّلات النقد الثقافي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص 15

لتبيان أنّ الأدب ليس موجوداً، فكيف للنظرية الأدبية أن توجد إذاً».[1]وهي نظرة الكثير من النقاد والدارسين، إذ يتفق عدد منهم على أنّ « الأدب بصفته الجمالية مخلوق (بورجوازي)، لا معنى له خارج القرن التاسع عشر في أوربا »[2].

إنّ عالم اليوم مغاير تماماً للعالم الذي نشأت فيه الأشكال الأدبية المعروفة، إذ ظهرت متغيرات كثيرة وجديدة تتطلب الخروج عن المألوف، فكان لابد على « النقد الثقافي أن يذهب بعيداً عما كان مألوفاً أدبياً من قبل، لا بسبب رغبة فلان أو تنظيرات آخر، و إنما لأن العالم المعاصر يعرض لأمر أوسع و أكثر تشابكاً»[3].

وهذا لا يعني إقصاء الأدب من العملية النقدية الثقافية، وهذا ما يؤكده الناقد (محسن جاسم موسوي) في قراءته لمشروع فنسنت بي ليتش Vincent B. Leitch، والذي يرى أنّ النقد الثقافي يوظف (الأدب) بوصفه مصطلح وظائفي متغيّر، ف: " ليتش" يرى أنه يجب علينا فتح الطريق ما بين الشفاهي والأدبي والاجتماعي الذي نحيا فيه، وبالتالي القدرة على دمج هذا الأدب داخل مساقات الخطاب والثقافة [4].

وهو الاتجاه نفسه الذي انتهجه الكثير من النقاد في أمريكا، رغم بعض الاختلافات في توجيه هذا النقد، إذ ترى كل من الناقدتين الأمريكيتين "جوهانا.م.سميث" Johanna M. Smith و"روز. س. مورفان" Ross C. Murfin، أنّ النقد الثقافي يريد في النهاية أن يجعل من مصطلح " ثقافة" يحيل إلى الثقافة الشعبية، وهو الأمر الذي يضعه في الكثير من الأحيان في صراع ضد المفاهيم القديمة التي يتألف منها (التشريع) الأدبي [5]، إذ أنّ المؤسسة الأدبية تقبع كعائق أمام كل خروج عن المألوف، وعن كل ما يُخِّل بالشروط الأساسية كاللغة، والجنس الأدبي، وغيرهما، وقبول التغيير في هذه الشروط، سيجرها إلى التغيير في الكثير من المفاهيم القديمة.

لكن الناقد "آرثر أيزا برجر" يربط النقد الثقافي بمجالات ونظريات عديدة والتي كانت مرتكزات أساسية في النقد الأدبي إذ يرى أن « النقد الثقافي -كما أعتقد- هو مهمة متداخلة، مترابطة متجاوزة، متعددة كما أنّ نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكاراً ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضاً التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أيضاً أن يفسر(نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية

---

[1])- عبد القادر الرباعي، تحوّلات النقد الثقافي،، ص 18، 19.

[2])- محسن جاسم الموسوي ، النظرية والنقد الثقافي، الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها، سياقاتها، وبناها الشعورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 01، 2005، ص 26.

[3])- المرجع نفسه، ص 37.

[4])- المرجع نفسه، ص 19، 20، بتصرف.

[5])- voir : Johanna M.Smith, Ross C.Murfin, c'est quoi la Critique Culturelle?
http :www.usac.ca/english/frank/wc/htm

و الإنثربولوجية...إلخ) »[1] فهو بهذا القول ينادي إلى إدراج كل النظريات التي ساهمت في بناء الصرح النقدي الأدبي في تحليلات النقد الثقافي، وهذا ربما ما فتح المجال أمام بعض النقاد الثقافيين للمناداة إلى نقد ثقافي كبديل عن النقد الأدبي.

1-2/ النقد الثقافي كبديل عن النقد الأدبي:

في ظل الصراع بين أنصار النقد الأدبي الذين يرون أنّه لا بديل عن النظريات الأدبية كمنهج لدراسة الأدب، وجزء من المدافعين عن النقد الثقافي والذين يؤمنون بمقولة أنّ النقد الثقافي جزء من كل وأنّ هذا الكل هو الدراسات الأدبية مثلما ينادي به الناقد السعودي " عبد الله الغذامي حيث يقول: « والنقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، من ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه، وصيغه ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي»[2].

إن المهم حسب هذا المفهوم، هو الدور الذي يلعبه الخطاب سواء كان رسمياً أو غير رسمي في عملية التأثير فيما أسماه عبد الله الغذامي بالمستهلك الثقافي الجمعي، وهي نظرة دافع عنها الكثير من النقاد العرب من أمثال " سعيد يقطين" في ردّه على الآراء التي أعلنت فقدان النقد الأدبي لوظيفته بقوله:« ما يزال هناك متسع لما يمكن أن يضطلع به النقد الأدبي في حياتنا، وإن كنّا لسنا ضد تنوّع اتجاهاته وتياراته، والنقد الثقافي واحد منها»[3].

وهو الأمر الذي ينفيه الباحث " محسن جاسم موسوي" والذي يقول : « هل يمكن الحديث عن النقد الثقافي بصفته فرعاً من فروع المعرفة؟ لا يقبل النقاد الثقافيون بذلك، لأن النقد الثقافي فعالية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحضة المساس به أو الخوض فيه.إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في (العادي)، و(المبتذل) و(الوضيع)، و(اليومي)، والسوقي بعدما تمهر كثيراً في قراءة النصوص المنتقاة والمنتخبة التي يتناقلها نقاد الأدب ودارسوه على مر العصور»[4].

ومن هذا الرأي تتجلى أراء الفريق الثاني من المدافعين عن النقد الثقافي والذين يقرون أنّ النقد الثقافي لا يمكن أن يكون فرعاً من فروع النقد الأدبي، ومن بين هؤلاء "عز الدين المناصرة " والذي يرى أنّ « النقد الثقافي يميل إلى الاستقلال عن النقد الأدبي، لكن النقد الأدبي- كما نتوقع- لن يصبح فرعاً من فروع النقد

---

[1])- آرثر أيزا برجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 30، 31.

[2])- عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 2005، ص83، 84.

[3])- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، المار البيضاء، ط 01، 2008، ص 49.

[4])- محسن جاسم الموسوي ، النظرية والنقد الثقافي، الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها، سياقاتها، وبناها الشعورية، ص 12.

الثقافي لأسباب عديدة، تعود إلى طبيعة الاختلاف بين الفرعين، رغم اشتراكهما في بعض العناصر التي تمركز هوية كلٍ منهما حول خصائص أكبر».[1]

فطبيعة الاختلاف تبدو كبيرة بين الفرعين إذ يقتصر النقد الأدبي على دراسة الأشكال المتعارف عليها و ذات البصمة النخبوية، والتي لا تخرج عن دائرة اللغة الراقية، وكذا الأجناس المتفق عليها كالرواية، والقصة، والشعر، أمّا النقد الثقافي فيتعدى ذلك بكثير، بحيث أضحت الحقول الجديدة التي تندرج ضمن الدراسات الثقافية أولى بالدراسة من الأدب على حد قول عبد القادر الرباعي:« وقالوا إن دراسة التلفاز والأفلام والبلاغات الحكومية والإعلانات والحكايات الشعبية والجنسوية التي تعنى بما تتعرض له المرأة من اضطهاد في بعض المجتمعات، وغيرها مما يندرج في أعمالها، أولى بكثير من دراسة الأدب»[2].

يمكن أن نستخلص من هذه المقولة بعض مجالات الدراسة و كذا مرجعيات النقد الثقافي وهي كالتالي:

1-3/ مرجعيات ومجال الدراسة في النقد الثقافي:

1-3-1/ مرجعيات النقد الثقافي:

يعتبر النقد الثقافي من المناهج المعاصرة، والتي جاءت كنتيجة للمناهج التي سبقتها، وككل المناهج فإنّه لا يمكن أن يقوم دون الاستعانة وكذا الاستفادة من الحقول المعرفية المختلفة والمناهج النقدية التي سبقته، وهذا ما يشير إليه عز الدين المناصرة بقوله:« يرتبط النقد الثقافي بحقول الثقافة المتنوعة، مستفيداً من مناهج العلوم الإنسانية: الفلسفة والتاريخ والسياسة والفكر وعلم الاجتماع وعلم النفس، و البيولوجيا، و الألسنيات، والنقد الأدبي، و الأنثربولوجيا وغيرها، حيث قراءة النصوص قراءة تتضمن مفهوم قراءة البنية(...)، لتكشف (المسكوت عنه) في النص.(...) يقرأ النقد الثقافي تحوّلات هذه البنيات ومرجعياتها، ووظائفها وأثرها الاتصالي وأشكاله».[3]

فكل النظريات والمجالات العلمية وكذا الدراسات البنيوية وما قبلها، وكذا المابعد بنيوية كالنظريات الما بعد كولونيالية هي مرجع أساسي في تكوين نظرية النقد الثقافي، والتي يعتمد عليها في تحليل النصوص خاصة الهامشية منها وهذا بعد أن رفضت المؤسسة الأدبية من قبل إدراجها ضمن النصوص القابلة للتحليل، بحجة عدم توافرها على الشروط التي تمنحها صفة النخبوية.

---

[1])- عز الدين المناصرة ، الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص14.

[2])- عبد القادر الرباعي ، تحولات النقد الثقافي، ص 10.

[3])- عز الدين المناصرة ، الهويات والتعددية اللغوية، قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن،ص 11، 12.

***- الخطاب ما بعد الكولونيالي:**

لو أخذنا نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالي على سبيل المثال لا الحصر، فنجد أنها نظرية تمت صياغتها بنسبة كبيرة من طرف نقاد من العالم الثالث من أمثال " إدوارد سعيد"، و"هومي بابا" وغيرهم، ويشير يحيى بن الوليد أنّ « النقد الثقافي ليس غربياً بشكل صرف بحكم الأسماء التي تساهم في بلورة أفقه خصوصاً من ما يعرف ب " نظرية الخطاب الكولونيالي ».[1]

فالخطاب الكولونيالي أو كما يسمى " دراسات ما بعد الاستعمار"، تعتبر مادة أساسية تدخل في اهتمامات النقد الثقافي، بوصفها ترمز أو تشير إلى ذلك المنتوج الثقافي الذي جاء في حقبة الاستعمار، « فهو الأدب الذي كتبته الشعوب التي خضعت لتجربة الاستعمار في العصر الحديث، منذ مرحلة استعمارها حتى يومنا هذا، سواء أكان ذلك الأدب الذي انسجم مع التأثير الاستعماري، وثقافة المستعمر، وصار هجينا، أم الأدب الذي رفض ثقافة المستعمر وحاربها».[2]

ولم تكن هذه الدراسات التي تعنى بهذا النوع المهمّش من الآداب وليدة اليوم، وإنما كانت لها بداياتها كمجال مرموق« منذ أواخر السبعينات، وهو مجال أشعل شرارته جزئياً كتاب "الإستشراق" لإدوارد سعيد عام 1978، حين لفت الانتباه إلى الطريقة التي انتهجها الخطاب الأدبي الغربي في وصف "الشرق" واختلافه »[3].

فالإقصاء الأدبي الذي انتهجه الغرب على المنتوج الأدبي والثقافي العربي، أدى إلى ظهور الخطاب ما بعد الكولونيالي كردّ على التهميش الممارس على كل أشكال الثقافة الخاصة بالمشرق، « وقد تم اعتبار كل من إدوارد سعيد وغاياتري سبيفاك G.C.Spivak وهومي.ك.بابا Homi.k.Bhabha ، الثالوث المقدس لنظرية ما بعد الكولونيالية، بحيث يمكن تلمس معالم هذه النظرية في كتاباتهم المتعددة.وكون هؤلاء الثلاثة هم من المهاجرين إلى أمريكا من بلاد الهامش، يلقي الضوء على بعض العوامل الأساسية من وراء ظهور هذه النظرية»[4].

فكل منتوج يأتي من البلدان المستعمرة، ينتمي حتماً – حسب التشريع الأدبي الغربي- إلى الأدب الهامشي، وهذا التصنيف يضعه في درجة أو مرتبة أقّل من المنتوج الإبداعي الغربي، لذا كان لابد من ظهور مدرسة نقدية تأخذ على عاتقها دراسة هذا الأدب، بإخراجه من العملية الإقصائية الممارسة عليه.وهو ما يجعل منه- الخطاب ما بعد الكولونيالي- حقلا غنياً لكل الدراسات التي يحتويها النقد الثقافي.

---

[1])- يحيى بن الوليد، ملاحظات حول النقد الثقافي لعبد الله الغذامي، مجلة علامات، ج 55، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، جدّة، 2005، ص157.

[2])- النجار مصلح وآخرون، الدراسات الثقافية، ودراسات ما بعد الكولونيالية، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، الأردن، ط 01، 2008، ص 74، 75.

[3])- المرجع نفسه ، ص 73.

[4])- فتيحة إبراهيم صرصور، النقد الثقافي والنقد النسوي، مقال نقدي، الموقع الإلكتروني: http://fis2020.maktoobblog.com.

***- الأدب والنقد النسوي:**

يعتبر الأدب النسوي من الآداب التي عانت ولا تزال تعاني من التهميش والتحقير من طرف المؤسسة الأدبية، باعتبارها مؤسسة ذكورية بالدرجة الأولى، سيطرت ولقرون عديدة على كل الممارسات خاصة الثقافية، ويمكن اعتبار« الأدب النسوي جزءاً لا يتجزأ من النسوية التي هي حركة أيديولوجية سياسية تهدف إلى محاربة التمييز الجنسوي، وتطالب بحقوق متكافئة للرجل والمرأة ».[1]

ومن هذا التوجه السياسي الأيديولوجي ظهر الأدب النسوي ليعبر عن واقع اجتماعي معين لتكون بذلك« خصوصية الكتابة لدى المرأة ليست خصوصية طبيعية ثابتة، بل هي ظاهرة نجد أساسها في الواقع الاجتماعي التاريخي الذي عاشته المرأة، وهذا يميل إلى عدّ المرأة نوعاً اجتماعياً يعيش ظروفاً اجتماعية مختلفة عمّا يعيشه الرجل، و بالتالي فإن هذه الظروف هي التي تشكل خصوصية التجربة، وليس التركيب البيولوجي».[2]

وبوصفه أدباً، كان لابد من مؤسسة نقدية ترافق بالدراسة هذا المنتوج، ما فتح المجال لميلاد مصطلح " النقد النسوي" (Gynocritics)، والذي تمّ إطلاقه «على يد الناقدة النسوية إيلين شوآلتر Elaina) (Showalter، ويعني: تحليل النصوص من وجهة نظر المرأة .والدافع إليه ما تستشعره الحركات النسوية من إهمال الرجل المتعمد لمجمل إنتاج النساء الإبداعي وعدِّه إياه أدباً من الدرجة الثانية. لذلك فقد كان هذا النقد النسوي هو الرفع من منزلة المرأة في المجتمع»[3].

فالهدف الأوّل والأخير من ظهور الأدب والنقد النسوي هو الرفع من قيمة المرأة، وإخراجها من دائرة التهميش التي وضعها فيها الرجل في الدرجة الأولى، وكذا إعطاء أهمية لإبداعاتها، وهذا من خلال إسقاط تلك النظرة الاستعلائية التي تمارسها المؤسسة الأدبية على أغلبية المنتوج الإبداعي النسوي.

1-3-2/ مجالات النقد الثقافي:

لقد أسلفنا الذكر أنّ النقد الثقافي يهتم بعدّة مجالات، فهو يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالإنسان وحياته، فيبين الآثار التي يتركها في المجتمع كما يدرس آثار المجتمع في نفس الإنسان، وتتوزع هذه المجالات على ثلاثة محاور أساسية هي (الوسائط، ، الموضوع، الجنس)، وسندرج مثالاً لكل محور فيما يلي :

---

[1])- النجار مصلح وآخرون، الدراسات الثقافية، ودراسات ما بعد الكولونيالية، ص 94.

[2])- المرجع نفسه، ص 97.

[3])- فتيحة إبراهيم صرصور، النقد الثقافي والنقد النسوي، مقال نقدي، الموقع الإلكتروني: .http://fis2020.maktoobblog.com

أ/- من حيث الوسائط:

*- الميديا:

يعتبر مصطلح "الميديا" من المصطلحات المعاصرة والتي ترتبط مباشرة بوسائل الإعلام والتطور التكنولوجي والتي تلعب دوراً هاما في حياة الإنسان الذي يبحث عن الرفاهية، لتتحول الميديا إلى ثقافة تُضاف إلى الممارسات الثقافية للمجتمعات، ولهذا فلقد« أولى النقد الثقافي اهتماماً بثقافة الميديا التي ساهمت في إحداث تحوّلات داخل النظام الثقافي للمجتمعات المعاصرة مثل آليات التأويل والتلقي، وعلاقة الإنسان بالحقيقة، وصناعة الرأي، وصعود ما يسمى بالثقافة الجماهيرية، حيث تحولت وسائل الإعلام إلى جزء من يوميات الإنسان، وأداةٍ للتأثير عليه».[1]

فالنقد الثقافي باعتباره آلية من آليات التحليل الثقافي، قد وجد في " الميديا" المسرح الملائم لدراسة الممارسات الثقافية العديدة التي تنتجها خاصة الجماعات المهمشة أو التي يشار إليها بمصطلح " الثقافة الجماهيرية"، فوسائل الإعلام تلعب دوراً هاما ومرتكزا قويا للجماعات المهمّشة، فهي الوسيلة التي أتاحت مساحات تعبيرية شاسعة لهذه الجماعات، و بعيدا عن الرقابة السلطوية بكل أشكالها.

وأحسن مثال على هذا ما يقدمه " التلفزيون" والذي يلعب اليوم دوراً بارزاً في التكوين الثقافي للفرد، وهو الأمر الذي دفع بأغلب الباحثين إلى دراسة التأثيرات التي تنتج عن هذا الجهاز بين مؤيد ومعارض، ظهرت مع النقاد المعاصرين لاسيما المتوجهين إلى الدراسات الثقافية ما يسمى "بالثقافة التلفزيونية"، فكان لها الزاد الكبير في الدراسات الثقافية المعاصرة، إذ أنّ « الاهتمام بالثقافة التلفزيونية قد أخذ يتسع جماهيريا وتضاعفت الكتابات عنه في الصحافة حتى صار هو الموضوع الأكثر طرقا في الصحف كتابة وحديثا وتعليقا، وأخذ نقد الخطاب التلفزيوني وخطاب الصورة يجر بعض الاهتمام العلمي النقدي»[2]، ومنه فقد أصبح الاهتمام بنقد الخطابات التلفزيونية من أولويات النقد الثقافي لما تتضمنه من تأثيرات ثقافية على الفرد أو المجتمع، وكذا التركيز على الصورة كلغة من الدرجة الأولى وبالتالي كخطاب موجه إلى جمهور عريض وواسع.

وكانت البداية في دراسة التلفزيون مقتصرة على نشرات الأخبار، وعن مدى وكمية تقديمها للمعلومات، لكن الدراسات الحديثة ذهبت أكثر من ذلك فلم يعد الأمر يقتصر« في التلفزيون على الأخبار، بل إن الدراما التلفزيونية أضحت لها مصداقية عالية لدى الكثيرين، ويمكن أن تصبح مصدراً هاماً لمعلوماتهم ورافداً أساسياً لثقافتهم العامة»[3].

---

[1])- لونيس بن علي، لذّة الكتابة، قراءات في الراهن الفكري والنقدي والأدبي، فيسيرا للنشر، الجزائر، دط، 2012، ص 13.

)- عبد الله الغذامي ، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص 14.[2]

[3])- جمال العيفة ، الثقافة الجماهيرية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، دط، 2010، ص 63.

فالدراما التلفزيونية تلعب دوراً بارزاً في تمثيل ثقافات المجتمعات وتصديرها إلى العالم، إذ تمثل بصمة بارزة للتعريف بعادات وتقاليد شعب معين.

ب/- من حيث الموضوع:

***- الهوية:**

تعتبر الهوية مادة خصبة للدراسة منذ قرون، فهي تصلح « مجالاً مهماً للنقد الثقافي. وهنا يفترض أن نستعين بكل مناهج العلوم الإنسانية الممكنة، ليس من الزاوية النظرية فحسب، بل ننطلق بالعكس، أي ننطلق من واقع الهوّيات في العالم في تشكلها ونموّها واندثارها ومقاومتها وانغلاقها وانفتاحها».[1]

فالهوية تتشكّل من عدّة عناصر والتي تتطلب الاستعانة بكل مناهج العلوم الإنسانية لدراستها وهذه العناصر يحددها أمين معلوف في كتابه " الهويات القاتلة" وهي (الانتماء إلى تقليد ديني أو جنسية، أو إلى مجموعة أثنية أو لغوية وتدخل فيها العائلة و المهنة والمؤسسة والوسط الاجتماعي...).[2]

وهذا التنوع الذي تتشكل منه الهوية، والذي يتطلب تحالف عدّة مناهج لدراستها، يؤدي حتما إلى اتساع دائرة استعانة النقد الثقافي بالمناهج العلمية النقدية المختلفة مثل الأنثربولوجيا واللسانيات وعلم الاجتماع وغيرها.

ج/- من حيث الجنس:

نقصد بالجنس هنا النوع le Genre، كالجنس الأدبي مثلاً، ويعتبر الإعلان والإشهار من الأجناس الحديثة والتي تدخل في معادلة التواصل بين (المنتج والسلعة والمستهلك).

***- الإعلانات والإشهار:**

يعتبر الإشهار من الوسائل الأكثر شيوعا في ميدان التواصل والتسويق، مما يجعله ميداناً خصبا للدراسة، انطلاقاً من أنه « حالة من حالات "التواصل الفعال"، فهو منتج الواقعة و طرفها الأسمى(...)، إنه الجدل الذي يحيط بأجناس من الكلام الممتد من خطاب الحياة اليومية والتواصل المعتاد إلى الخطاب الفلسفي»[3].

وهو بهذا يضع الإشهار بين التواصل العادي والخطاب الفلسفي، فالعادي أو اليومي، يقابله مصطلح " الجماهيري"، بحيث « ما يسمى بالتواصل الجماهيري ليس في واقع الأمر سوى سلسلة من حالات التلصص والاستبصار المدفوع الأجر(...)، معناه أن يضعك موضوعا للفرجة، فلا قيمة للفرد خارج الفرجة، أمام نفسه و

---

[1])- عزّالدين المناصرة ، الهويات والتعددية اللغوية، قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن،ص 13.

[2])- أمين معلوف، الهوّيات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، تر: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 1999، ص14، بتصرف.

[3])- سعيد بنكراد ، الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 2009، ص 09.

في الفضاء العمومي»[1]، فالهدف إذا هو الترويج والفرجة، بحيث أصبح جسد الإنسان منطلقا وهدفا في نفس الوقت في هذه العملية الإشهارية، والتي تحولت إلى صناعة ثقافية تعبر عن احتياجات جماهيرية عريضة.

وهذا ما يشير إليه سعيد بنكراد والذي يعتمد على تعريفات الإشهار خاصة تلك التي يقدمها الناقد " دايفيد فيكتوروف"، والذي يرى أن الإشهار صناعة ثقافية تعمل على ترويج ثقافة جماهيرية كما انه نشاط فكري يجمع بين مصمم و فنان من أجل إبداع رسائل سمعية بصرية.[2]، وهذا التعريف يؤكد نقطة مهمة، وهي أنّ العملية الإشهارية هي عملية إبداعية فنية من الدرجة الأولى، هدفها هو إنتاج رسائل سمعية بصرية.

والإشهار أو الإعلان بصفة عامة هو « شريان الحياة لكل اقتصاد حرّ. فهو يخلق وعياً بالمنتج و يشكِّل حافزا للطلب عليه من المستهلك(...)، و الإعلان، خاصة الإعلان في التلفزيون، يعتبر واحدا من أقوى المؤثرات الثقافية والاقتصادية في مجتمعنا(...)، فهو يؤثر في نوعية ما نرتديه من ملابس، وفي ماركات ما نستخدمه من سيارات، وفيما نتناوله من مشروبات»[3]، فالتأثير الثقافي الذي ينتجه الإعلان كبير جداً على المجتمع، إذ يؤثر تقريبا على كل ما يتعلق بحياة الأفراد، وقد يصل إلى حدّ أخذ القرارات مكان هذا الفرد، خاصة فيما يخص الملبس والمأكل، والتي تشكل بدورها لاحقاً ثقافة هذا الفرد، وهو ما يجعل من الإعلان أو الإشهار نموذجاً هاماً للدراسات التي يهتم بها النقد الثقافي، والتي تولي أهمية للفرد وثقافته.

4-1/ خصائص النقد الثقافي:

مما ذكرناه سالفاً، يمكن تحديد خصائص النقد الثقافي، وهي الخصائص التي اعتمدها الناقد الأمريكي " فنسنت ليتش"، ويذكرها عز الدين المناصرة في كتابه "الهوّيات والتعددية اللغوية" في قوله:« يقوم النقد الثقافي عند (ليتش) على ثلاث خصائص: 1/ لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة(...)، سواء كان خطاباً أو ظاهرة/2/ من سننه أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية مثل تأويل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية/3/ إن ما يميزه(...)هو تركيزه الجوهري في أنظمة الخطاب».[4]

وهي تقريبا نفس الخصائص التي طُرحت في " مؤتمر أدباء مصر" سنة 2003، والتي ذكرها الدكتور " مصطفى الضبع"، إذ يرى أنّ النقد الثقافي يمتاز (بطابعه التكميلي)، بحيث لا يرفض الأشكال النقدية الأخرى، وفي نفس الوقت يرفض هيمنتها منفردة، كما يمتاز- النقد الثقافي- بِسِمة (التوسع و الشمولية)، إذ يُبقي المجال

---

[1]) – المرجع نفسه ، ص 08.

[2])- المرجع نفسه ، ص 63، بتصرف

[3])- فرانك كيلش، ثورة الأنفوميديا، تر: حسام الدين زكريا، مجلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 253، 2000، ص 361.

[4])- عزّالدين المناصرة ، الهويات والتعددية اللغوية، قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن،ص07، 08.

منفتحاً أمام أشكال متعددة من النشاط الإنساني، كما يمتاز بصفة (الاكتشاف)، أي اكتشاف جماليات جديدة سواء في النصوص الأدبية أو في الواقع بوصفه نصاً أشمل.[1]

والملاحظ أن النقد الثقافي العربي يحاول أن يساير النموذج الذي يطرحه الأمريكي " فنسنت ليتش"، وذلك برفضه لهيمنة المؤسسة الأدبية، وفي نفس الوقت عدم التخلي عن المناهج النقدية الأخرى، ومحاولة الانفتاح على جماليات أخرى غير الجمالية الأدبية المعروفة.

[1])- الضبع مصطفى ، أسئلة النقد الثقافي، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، المنيا، 23، 26 ديسمبر 2003، ص 10، 13، بتصرف.